في شأنهم والاستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون المنافقون ان تنزل عليهم ويمدهم في طغيانهم من مد
الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت
السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوسواس
حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال
قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم
يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في
الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم
الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين و
الظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه
مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان
الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد
في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام
على ان يسندوا الى الله ما اسندوا الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته
والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد
في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد
اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضده ما قلناه قول الحسن في تفسيره
في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو
وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان
فان قلت اي نكتة في اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم
واجترحته ايديهم وان الله بريء منه رد الاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا
لتوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى الشياطين ذاته تعالى لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان
فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع
في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده

١٨

اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين

بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والراي والعمه في الراي
خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا راي لهم ولا دراية
بالطرق وسلك ارضا عمهاء لا منار بها ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل
الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدر دردا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله عز وجل فيما
يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فان قلت كيف
اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كانه في ايديهم فاذا تركوه
الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل
فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص
نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي الشف من
قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع
ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرا ابن ابي عبلة تجاراتهم فان قلت
كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل
الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح
عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رايت
اسدا وانت تريد المقدام ان لم يقم حال دالة لم يصح فان قلت هب ان شراء الضلالة بالهدى
وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثمة مبايعة على الحقيقة قلت هذا
من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى
باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن ديباجة واكثر ماء ورونقا منه وهو
المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كان اذني قلبه خطل وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا
ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لها الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا
يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة ومعاينة ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه
جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر
ونحوه قول بعض فتاكهم في امة فما ام الردين وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذ الشيطان

مطلب المجاز المرشح

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)